

من تراثنا العلمي :

البرمائيات والزواحف

في كتاب حياة الحيوان الكبير للدميري

الدكتور هليل النور

مقدمة :

كتاب حياة الحيوان الكبير من الكتب الشهيرة في تراثنا العلمي التي وضعت لتبحث خصيصاً في الحيوانات المختلفة . ومؤلفه هو الشيخ كمال الدين أبو البقاء محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري المصري الشافعي ولد في سنة ٧٤٢ هـ وتوفي سنة ٨٠٨ هـ ودفن بالقاهرة . وقد مضى على تأليف الكتاب قرابة السبعة قرون . وفي محارلتنا تسليط الضوء على تراثنا العلمي واظهار الصحيح للعيان والتنويه عن الخرافات والاساطير فقد درسنا كتاب نهج البلاغة للإمام علي بن ابي طالب عليه السلام وقصة حي بن يقظان وكتاب حياة الحيوان الكبير وذلك لدراسة ما جاء في هذه الكتب مما يخص علم الحيوان . وهذا بحثنا الثالث في كتاب الدميري اذ كان البحث الاول عن الحيوانات المفصلية في كتاب حياة الحيوان الكبير ، والبحث الثاني عن الثدييات في كتاب حياة الحيوان الكبير ، وفي بحثنا هذا سوف ندرس البرمائيات والزواحف في حياة الحيوان الكبير . وقد كنا قد تحدثنا بالكثير عن هذا الكتاب ومزاياه وصفاته فلا حاجة في اعادة ذلك هنا وانما سندخل في صلب الموضوع .

أولاً - البرمائيات (Amphibia)

تعرف الحيوانات البرمائية اليوم بأنها صنف من الحيوانات الفقرية لها القابلية على العيش في الماء وعلى اليابسة . فهي بذلك تقع بين الأسماك والزواحف من حيث التطور العضوي . فإن صفات وجود الأطراف الامامية والخلفية والزوائد والمنخرين وعضء الحس التي تتمكن من العمل على اليابسة كلها تساعد هذه الحيوانات على ان تعيش بحرية على اليابسة . اما الصفات التي تساعد على المعيشة في الماء فمنها قابليتها على التنفس من خلال جلدها او بواسطة الغلاصم (بدور اليرقات) ووضع بيوضها في الماء ووجود الصفقات في الارجل وشكل الجسم ووضع الرأس اثناء السباحة وقابلية السبات في قعر البرك والجاري . هذه هي الصفات العامة للبرمائيات واسكن هناك صفات ثانوية تميز الرتب عن بعضها . فمثلا هناك بعض البرمائيات بدون اطراف او باطراف امامية فقط . ان الكثير من البرمائيات يعيش في المناطق الاستوائية والغابات مما يجعلها غير مألوخة لدى الكثير من سكان البلاد العربية الا القليل منها مما تراء في حدائق الحيوانات . فانا في العراق مثلا لا نعرف من رتب هذا الصنف الا رتبي الضفادع والسلمندر ولا نعرف من الضفادع الا ثلاثة اجناس هي الضفادع الشجرية (Hyla) والضفادع الخضراء (Bufo) والضفادع العادية (Rana) . كما ان علاقة هذه الحيوانات بالانسان المسلم والعربي غير تامة وانا لم نستعملها للغذاء او التربية الا حديثاً وحتى الآن فان من يأكل الضفادع قليل وفي مناطق قليلة لا تعدو بعض المواضع في بيروت والقاهرة والاسكندرية . لهذه الاسباب فانا لا نجد في كتاب حياة الحيوانات للدميري من الحيوانات البرمائية الا الضفادع . الا ان الدميري يذكر بعض الحيوانات بصورة مقتضبة جداً وبصورة لا تكفي لتمييزها وقد يكون بعضها برمائياً . فمثلا يذكر الدميري حيواناً باسم جلكي ويقول « انه متولد بين الحية والسمك » . ومعجم الحيوان (ص ١٤٥) يقول ان هذا الحيوان هو الهبري وهو جنس من الاسماك الغضروفية والواقع انه نوع من الاسماك المدينة الفكوك . ويذكر الدميري حيواناً اخر باسم قندر ويقول عنه « انه بري بحري » ولم يات ذكر لهذا الحيوان في معجم الحيوان . كما ان الدميري

يسمى كثيراً من الحيسوانات الصغيرة دواب بدون تمييز واضح . ولكن الدميري يذكر الضفدع بتسعة أسماء نظراً لكونه مالوفاً ومعروفاً في كل بقاع الارض . فالدميري يذكر الاسماء التالية ويعرفها بانها الضفدع او بعض الانواع حسب العمر او الحجم (الضفدع - العلجوم - القوافر - الشرغ - الشفدع - النقاقة - الطحجأة - القرة - الدحوص) . ويقول عن العلجوم انه ذكر الضفدع والشرغ انه الضفدع الصغير والشفدع هو الضفدع الكبير والنقاقة بالنسبة للصوت اما الدحوص فيصفه بقوله « دويبة تغوص بالماء » ليس من الصعب ان يعرف المرء لماذا يذكر الدميري الضفدع تحت تسعة أسماء اذا عرفنا ان هناك زهاء ٢٢٠٠ نوع من الضفادع كلها الآن موصوفة ومعطاة اسماً علمية (انظر في Storer & Usinger) واذا عرفنا ان كتاباً صغيراً للهواة يعطينا ٣٥ صورة لـ ٣٥ نوعاً من الضفادع (انظر : Zim & Smith) واننا في صغوفنا العلمية الاولى في الجامعة نستعمل نوعين من الضفادع لجنسين مختلفين في التشرح هما جنس Rana و جنس Bufo .

يكتب الدميري قرابة الثلاث صفحات عن الضفدع ولكنه مع الأسف لا يقول الا القليل من الناحية العلمية . فهو يقول « والضفادع انواع كثيرة » وهذا صحيح وقد بيناه اعلاه . ثم يقول « وتكون - اي الضفادع - من سفاد وغير سفاد » . ان من المعروف ان الضفدع لا يسعد بالمعنى الصحيح من هذه العملية . فذكر الضفدع بدون قضيب وليس هناك عملية تزاوج . ان عمليتي التلقيح والاختاب في الضفادع تتم بالماء حيث تضع الأنث بيوضها ويضع الذكر الحيامن بالمحل نفسه فوقها الا ان هناك كثيراً من الضفادع التي ترى ان ذكورها تصعد على الأنث بعملية تشببه بعملية التزاوج اثناء وضع البيض والحيامن . وقد يستمر الذكر فوق الانثى ويمسكاً بها لعدة ساعات . وتسمى هذه العملية Amplexu (انظر : Marsland & Plunkett) ويقول الدميري عن الضفادع « وتتولد من المياه القاعية الضعيفة الجري ومن العفونات وعقب الامطار الغزيرة » ان هذا مغلوط اذا كان القصد منه تكوين الضفدع ولكنه صحيح من حيث محلات تكاثر الضفادع .

فإن صفار الضفادع تتكاثر في مثل المحلات التي يصفها الدميري (Storer & Usinger) .
ويقول الدميري عن الضفادع « وهي من الحيوانات التي لاعظم لها » . وهذا خطأ إذ ان
للضفادع هيكلًا عظمياً كاملاً مع بعض المحلات الغضروفية مثل عظام القص ولوحة الكتف .
كما ان الضفدع بدون اضلاع وقص صدرى . ثم يقول الدميري « ومنها ما ينق وما لا ينق
والذي ينق منها يخرج صوته من قرب اذنه وتوصف بحدة السمع » وكل هذا قول صحيح
وعلمي . ان ذكور الضفادع هي وحدها التي تصوت بصوت عال - نقيق - واضح وهذا
الصوت العالي يتأني لسبب وجود الكياس الصوتية Vocal Sacs التي يوجد واحد منها
بالقرب من زاوية الفم وتكون فتحة الكيس انصوتي من الداخل ويدخل اليها الهواء من
الفم فينفث الكيس وبذلك تزداد ذبذبات الصوت القادمة من الاوتار الصوتية من
الحنجرة . والضفدع يسمع بصورة جيدة لأن الاذن تتكون من الاذن الوسطى بطلبتها
والاذن الداخلية . اما الاناث فان اصواتها اوطأ من الذكور لانها بدون الكياس الصوتية
ثم يقول الدميري عن الضفادع « واول نشأتها في الماء ان تظهر مثل حب الدخن اسود ثم
تخرج منه وهي كالدعوص ثم بعد ذلك تنبت لها الاعضاء » وهذا وصف موجز علمي
لدورة حياة الضفدع وكله صحيح . فان الاناث تضع البيوض باعداد كبيرة وتكون
البيوض داكنة اللون ويتم الاخصاب في الماء ثم تفقس البيوض عن يرقات صغيرة بذنب
تسبح في الماء لفترة وتتنفس بواسطة الغلاصم ثم تبدأ الاطراف الخلفية بالظهور وبعدها
الاطراف الامامية ويأخذ الذنب بالضمور حتى يصل الحيوان دور التكامل الذي نراه .
ثم ينقل الدميري عن القزويني القول التالي « الضفادع تبيض في الرمل مثل السلحفاة »
وهذا ليس صحيحاً اذ ليس هناك من الضفادع ما يبيض في الرمل بل كلها تضع البيوض في
الماء لكي يتم اخصابها (Storer & Usinger) . وفي محل آخر يذكر الدميري الضفدع
باسم النقاقة ويقول « والنقيق صوتها » وهذا صحيح ولكنه يقول هنا أيضاً « انها اذا
فارت الماء ماتت » وقد يكون الدميري قد بالغ في ذلك . فالضفدع ميزة خاصة وهي ان

في جلده غدداً معينة لافراز السوائل وبذلك يبقى جلدها رطباً فلا يموت الضفدع المهم الا اذا ابتعد وظال بقاؤه بعيداً عن الماء وذلك يحدث لكل حيوان لانه لا حياة بدون ماء لا سيما اذا عرفنا ان الضفدع يحصل على الماء عن طريق جلده . وقبل ان اختتم بحكي عن الضفدع اود ان ابين ان معجم الحيوان يعتقد ان العالجوم (الذي يسميه الدهيري ذكر الضفدع) قد يكون نوعاً آخر من رتبة الضفادع ويقول في محل آخر ان العالجوم هو نوع من انواع الـ Bufo لان هذا الجنس من الضفادع الكبيرة الحجم (معجم الحيوان ص ١٠٩ و ص ١٠٩) .

ثانياً - الزواحف Reptiles

الزواحف صنف من الحيوانات الفقارية يعتقد العلماء انها الاولى التي تمكنت من التغلب على الصعاب التي اعترضت انقريات على اليابسة . وتسمية هذا الصنف بالزواحف بالنسبة لطريقة سيرها على الارض اذ انها تزحف زحفاً في سيرها اي ان بطنها تلامس الارض اثناء السير . وتتميز الزواحف بميزات عديدة اهمها وجود زوجين من الاطراف (ما عدا ما تحت رتبة الحيات وبعض العظايا) وفي كل طرف ثلاثة الى خمسة اصابع تنتهي بمخالب . جلد هذه الحيوانات مغطى بمواد حافظة مثل الطراشف المتقرنة او العظام المدرعة تضع الزواحف بيوضاً مغطاة بغلاف صلب او جلدي . انقسم الكبير من الزواحف انقرض ولم يتمكن من البقاء على الارض . ويقسم العلماء صنف الزواحف التي توجد على الارض اليوم او ما يسمى بالزواحف الحديثة الى عدة تحت الصنف تمثلها الرتب التالية انظر : (Storer & Usinger and Grove & Newell) :

١ - رتبة السلاحف Order Testudinata . ويوجد هناك عدة عوائل من السلاحف

مثل السلحفيات Testudinidae والثرسيات Trionychidae

٢ - رتبة الحرشفيات Order Squamata وتشتمل تحت الرقتين التاليتين .

أ - تحت رتبة الحيات (Ophidia) Suborder Serpentes

ب - تحت رتبة العظايا (Sauria) Suborder Lacertilia

٣ - رتبة التماسيح Order Crocodilia

٤ - رتبة السمغينودون Order Rhynchocephala ولا يوجد من هذه الرتبة إلا نوع واحد في بعض مناطق نيوزيلندة وبذلك يكون هذا النوع « نوعاً متحجراً حياً » لأنه قديم في سلم التطور المضيوي .

لقد ذكر الدميري زهاء ٧٠ حيواناً زاحفاً ، ونظراً لصعوبة تصنيف هذه الحيوانات حتى في الوقت الحاضر وكذلك لوصف الدميري لبعض الحيوانات بصورة ممتزجة فإن من المحتمل ان يكون كل واحد من هذه الحيوانات التي ذكرها الدميري هو نوع او جنس قائم بذاته . ان الصفات الدقيقة التي تميز الانواع والاجناس والموائل تجعل من الصعب على غير المختص معرفة هذه الانواع في التصنيفات الحديثة . فمثلاً تكون الحيات تحت رتبة قائمة بذاتها يعدد فيها Storer & Usinger عشر عوائل تشمل زهاء ٢٥٠٠ نوع من الحيات . ولكن هذه الانواع بالنسبة لغير المتخصص كلها حيات واطاعي وثعابين . وكذلك تحت رتبة العظايا (Lizards) يعدد فيها Storer & Usinger خمس عشرة عائلة تضم زهاء ٣١٤٠ نوع ولكن جميع هذه الانواع بالنسبة لغير المتخصص عظاما وضب وورل ووزغ وسحالي . لذلك فانا عندما نقرأ عن حيوان من الزواحف في كتاب حياة الحيوان الكبرى نراه دائماً يصفه الدميري بأنه « حية ضخمة » او « حية سوداء » او « حية براء » او « افعى سامة » او « حيوان يشبه الضب » او « اصغر او اكبر من الضب » . وهذه الصفات غير كافية ومع ذلك فقد تمكن بعض العلماء العرب الحديثين بعد جهود كبيرة ان يثبتوا من هذه الاسماء وأقرانها بالاسماء العلمية الحديثة بعد مراجعة الكتب القديمة والنقواميس العربية والمعاجم . الجدول البسيط التالي يبين الزواحف التي جاءت في كتاب حياة الحيوان الكبرى منظمة حسب الرتبة وتحت الرتبة والعائلة فقط .

الرتبة بالعربي واللاتيني	تحت الرتبة بالعربي واللاتيني	العائلة بالعربي واللاتيني	الانواع او الاجناس المختلفة
اللاحف Testudinata	—	١ — السلحفيات Testudinidae	السلحفاة — الاطوم — الحسة — سلحفاة برية — سلحفاة بحرية — التجأ — الرق .
الحرشغيات Squamata	١ — الحيات Serpentes	—	الاربيد — الارقم — السالغ — الافعى — الاعمى — الابن — الثين — التعبان — الجارف — الاصاة — الجان — الحسارية — الحب — الحيت — الحريش — الخنثى — الحضب — الحيات — الدساسة — الشعسية — الشجاع — الضبابة — الماضة — العاضية — العذرف — الفضوفس — العطرب — القاعوس — ابن ققرة — القصريى —
٢ — العظايا Lacertilia	١ — الوزغيات Gekkonidae	١ — الوزغيات Gekkonidae	الوزغ — ابو برص — ساجا برص التلية — الحثان — الاسفتفور
	٢ — السقنتوريات Scinidae	٢ — السقنتوريات Scinidae	السقنتور — الخردونى — ام حزين الضب — الخرباء — جل اليهود
	٣ — الضبيات Lacertidae	٣ — الضبيات Lacertidae	الحسل — الورلى — القرميه العظاء — العحكة
	٤ — الخردونيات Agamidae	٤ — الخردونيات Agamidae	الوحرف — السعالية — العذرفوط الطحين — المغر — الدساسة
	٥ — الورليات Varanidae	٥ — الورليات Varanidae	الحذبة — الحطاء — الحلسكى المضروم ،
	٦ — الحرثيات Chamaeleonidae	٦ — الحرثيات Chamaeleonidae	التمساح — التمساح البري
	—	—	التمساح
			التمساح

من الجدول المار نجد ان الدميري ذكر تقريباً جميع الرتب وتحت الرتب للزواحف التي لا تزال موجودة في العالم القديم من كرة الارض ويعترف بها العلم الحديث . ولكن من الغريب ان يتطرق الدميري الى صفات وأقوال بعضها اساطير وخرافات ولكنه لا يمس الصفات الجسمانية التركيبية لهذه الحيوانات مثل الاطراف والذنب واللون وشكل الجسم والراس والرقبة والحراشف لم يأت بهذه الصفات الا لتقليل من هذه الحيوانات . وفيما يلي دراسات للزواحف التي ذكرها الدميري ولكنها ليست لكل حيوان بالضبط ولكن حسب تحت الرتب والعوائل وذلك لان دراسة ممثل عن هذه المجموع يكفي من ناحية ولان الصفات والوصف الذي يضعه الدميري لبعض الاسماء غير كافية لمعرفة الحيوان بالضبط كما نعرفه الآن .

السلاحف Turtles

تميز السلاحف بالعظام المدرع الذي يغطي الجسم من الظهر والبطن وبالاطراف الاربعة ذنبها قصير ولها القابلية على سحب راسها الى داخل او اخراجه الى خارج الدرع العظمي وعند ما يتكلم الدميري عن السلاحف فانه بالحقيقة يتكلم عن عدة انواع او اجناس او حتى عوائل من حيوانات هذه الرتبة من الزواحف . فهو يتكلم عن السلاحف البرية ويقول عنها « وهذا الحيوان يبيض في البر فما نزل منه في البحر كان لجأة وما استعر في البر كان سلاحفة » فهو هنا يتكلم عن مجموعتين من السلاحف ، السلاحف البرية والسلاحف البحرية ولكن الدميري يخطئ ، فيعتقد ان المجموعتين من السلاحف تأتي من نفس نوع البيوض ولكن المحل التي يتجه اليه الصغار الفاقس يعين النوعية في المستقبل . فالصغار التي تبقى في البر تصير سلاحف برية والصغار التي تنزل الى الماء تصبح الاجأ او السلاحف البحرية . غير ان الدميري يصيب كل الاصابة عند ما يقول في بداية الجملة من ان هذا الحيوان يبيض في البر اذ ان كل انواع السلاحف حتى البحرية منها تضع بيوضها على الشواطئ قريبة من خط الماء او في الرمل بعيدة عن الماء . فالاناث تبحث عن الشواطئ الرملية ومنحدرات

التلول لتحفرف فيها حفراً بسيطة بأرجلها الخلفية وتضع البيض ثم تغطيه بالرمل وحتى سلاحف البحار التي تقضي أكثر وقتها في اعماق الماء تخرج الاناث وقت وضع البيض الى الشاطئ الرمي لتبيض في الرمل (Storer & Usinger). ويقول الدميري « وهي - اي الانثى - اذا باضت صرفت همها الى بيضها بالبطر اليسه ولا تزال كذلك حتى يخالق الله تعالى الولد منها » . في هذه الجملة يقول الدميري ان هناك بعض التمهد الامهات تقوم به الامهات تجاه البيض. وهذا غير معروف بين السلاحف فما يعرف ان الاناث تضع البيوض بالرمل ثم تغطيه وتتركه وليس هناك من الانواع ما تتمهد الامهات فيها البيوض او الصغار (Parker & Haswell وغيره) . ثم يستمر الدميري قائلاً « اذ ليس لها ان تحتضنه حتى ياكل بحرارتها لان اسفلها صلب لا حرارة فيه » فهذه الجملة صحيحة برمتها . اذ ان السلاحف لا تحتضن البيوض كما ان بطنها مغطاة بالدرع البطني (Plasteron) الصلب . ثم يتكلم الدميري عن انواع الغذاء الذي تأخذه السلاحف مثل الحيات والحشرات والحيوانات الصغيرة الاخرى وكل هذا صحيح ولكنه لا يذكر ان هناك بعض السلاحف التي تقتات على الحشائش الخضراء وعندما يتكلم عن اللجأ يقول الدميري « واللجأ البحرية لها لسان في صدرها من اصابته به من الحيوان قتلته » ليس هناك اي زائدة او عضو نائي في درع السلحفاة البطني او الظهري ولذلك لا يعرف ما يقصده الدميري بهذا القول .

الحيات Snakes

تكون الحيات تحت الرتبة الاولى من الزواحف الحرشفية . وهي حيوانات طويلة وعسديمة الاطراف مغطى جسمها بحراشف وتكون الحراشف التي على السطح البطني اكبر من الحراشف التي على السطح الظهري . فسكوكتها قابلة للانفراج مما يجعلها كبيرة الفم اكثرها يتكاثر بوضع البيض ولكن هناك بعض الانواع تلد ولادة اي ان البيضة تبقى بالداخل حتى تنفس وتخرج الصغار والحيات هي اناجج تجريرة للطبيعة لحيوانات بدون اطراف (Storer & Usinger , Parker & Haswell , and Khalaf)

يذكر الدميري قرابة ٣٥ اسماً او نوعاً من الحيات ولكن الوصف المقتضب الذي يذكره تحت بعض الاسماء لا يساعد كثيراً على تمييزها . فالدميري يقول « الحية اسم يطلق على الذكر والانثى » ويقول « وذكر ابن خالويه لها مائتي اسم » وهذا يدل على ان الدميري يقصد بالحية كل هذه الزواحف التي بدون اذراف . وحتى مؤلف حديث مثل امين معلوف عند ما يتكلم عن الحية في معجم الحيوان يقول « وهي اجناس وانواع والسكبر منها يسمى الثعبان ومن انواعها الافعى والناشر والدساس والصل والاصلة والاسود .. الخ » وهذه هي نفس الاسماء التي يذكرها الدميري . يقول الدميري « العريد يأكلها - يعني الحيات - ويقضى كثير منها » وعندما نعرف ان العريد يعني افعى ضخمة عظيمة فان هذا العريد يقتات على الحيات الاخرى وقول الدميري لا خرافة فيه . ثم يقول الدميري « والحية انواع منها الرقشاء وهي التي فيها نقاط سود وبيض ويقال لها الرقطاء ايضاً وهي من اخبت الافاعي » ... « ومن انواعها الازعر ... وفيها ذوات القرون ... ومنها الاصلة وهو عظيم جداً ومنها ذو الطفتين والابر » وهذه كلها امور علمية وتسميات لانواع مختلفة من الحيات . ولو درسناها بمساعدة كتب قديمة اخرى لاصبح من الممكن ان نضع كل اسم منها على مساهمته العلمي الصحيح . ويقول الدميري عن الحية « وهي في كل سنة تلخ جلدها » وهذا صحيح ولكن الحيات تنزع جلدها عدة مرات بالسنة فتصل احياناً ست مرات وكذلك يعطينا الدميري الصفات والالوان المختلفة لبيوض الحيات . فهو يقول « وبيض الافاعي مستطيل وهو كدر اللون واخضر واسود وايض وارقطوفي بيضه نمس ولمع » وكل هذا عمل علمي وصحيح . ويذكر الدميري « ان الحية تعيش الف سنة » وهذا غير صحيح وان اطول عمر نصله الزواحف هو عمر بعض السلاحف التي قد تصل الى ٢٥٠ سنة . ثم يقول الدميري « ليس للحيات سفاد يعرف وانما هو التواء بعضها على بعض » اننا نعرف ان الاخصاب في الزواحف يتم في الداخل فلاشك ان هناك سفاداً وتزواجاً بين الحيات ولاشك ان الالتواء الذي يشير اليه الدميري هو قد يكون

عملية تزاوج . ان لذكر الحية قضيب بشقين يسمى Hemi Penis (اي نصف القضيب) وسوف تأتي على وصفه عند الكلام عن الضب في العظايا . ويقول الدميري عن الحية « ولسانها مشقوق فيظن بعض الناس ان لها لسانين » وهذا صحيح وانتباهة الدميري انتباهة علمية . ويقول « واذا نهشت انقلبت فيتوهم بعض الناس انها فعلت ذلك لتفرغ سمها وليس كذلك » وهنا ايضاً يصيب الدميري ولا حاجة للحية السامة ان تنقلب لتفرغ السم لان الغدة السمية في الفك الاعلى وبواسطة العضلات والضغط ينزل السم من اللسانين الى الجرح بسهولة . ويصف الدميري مقاومة الحيات للجوع والعطش فيقول « اذا لم تجد طعاماً عاشت بالنسم وتقتات به الزمن الطويل وتبلغ الجهد من الجوع فلا تأكل الا لحم الشيء الحي » . . . « ومن غريب امرها انها لا تريد الماء ولا توده الا انها لا تضبط نفسها عن الشرب اذا شمتها لما في طبعها من الشوق اليه فهي اذا وجدته شربت منه حتى تسكر » . فنحن هنا امام نقاط علمية بحته واخرى خرافية فالواحد على العموم لها القابلية على تحمل الجوع والعطش ووجبة واحدة تكفيها لعدة ايام وقد تقتنع بالاكل القليل وبخار الماء . ثم ان الحيات تقتات على اللحوم والبروتين مثل البيض والحليب . وهي تصطاد الحيوانات الصغيرة مثل الجرذان والعظايا والطيور اصطياداً . اما انها تعتاش وتقتات على التسمم وتشرب الخمر فهذا خرافة . ويقول الدميري « تقيم الانثى على بيضها حتى تخرج فراخها وتقوى على الكسب ثم تخرج هي سائرة » وهذا صحيح حيث ان بعض انواع الحيات بالاضافة الى التماسيح تقوم باحتضان بيوضها الى حين الفقس . ويقول الدميري « وعينها لا تدور في رأسها بل كأنها مسمار مضروب في رأسها » وهذا قول صحيح ان عيون جميع الحيات غير متحركة ومغطاة بحراشف شفافة وبدون اجفان (Storer & Usinger) . ثم يقول عن عين الحية « واذا قلمت عادت وكذلك نابها اذا قلع عاد بعد ثلاثة ايام وكذلك ذنبها اذا قطع نبت » ان ظاهرة الاخلاف (Regeneration) معروفة في كثير من الحيوانات لا سيما الحيوانات الواطئة في سلم التطور ولسكنها قليلة الحدوث في الحيوانات

الفقرية. فمثلا ان بعض السلحندريات (برمائيات) والعظايا تستعيد ذنبها اذا قطع . ليس هناك في كتب علم الحيوان الحديثة ما يشير الى ان الحيات لها القابلية على اخلاف ذنبها وعينها ولكن لها القابلية على اخلاف اسنانها وانيابها حيث انها تسقط بصورة مستمرة ويستعاض عنها باستان جديدة . ويقول الدميري « وتزعم العرب ان الافاعي صم » وهذا الزعم صحيح اذ ان الحيات بدون اذن وان سمعها يتم عن طريق تماسها مع الارض والتقاط اللبذبات الصوتية من الارض (Storer & Usinger) و (Zim & Smith) . ويقول « اذا عميت او خرجت من تحت الارض لا تبصر طلبت الازيغ الاخضر فتحك به بصرها فتبصر » . ان من المعروف ان عيون الحيات مغطاة بمحارشف شفافه تنزعها مع بقية حراشف الجسم في عملية الانسلاخ . وهي في بداية هذه العملية يفرز جسمها سوائل وهورمونات خاصة لتساعد في عملية الانسلاخ وهذا السائل يكون ذا كناً فالعيون لا تتمكن من الابصار حتى تتخلص من الحراشف القديمة وهذا السائل . وقد يكون هذا الحك الذي تقوم به الحية يساعدها في التخلص من الحراشف القديمة الباقية على عينيها ثم تظهر الحراشف الجديدة الشفافة فتتمكن من الابصار . ويقول « ليس في الارض مثل الحية الا وجسم الحية اقوى منه » وهذا صحيح لكثرة العضلات التي في جسمها وارتباطها مع الاضلاع الكثيرة . ثم يستمر الدميري فيقول « وليس لها قوائم ولا اظفار تنشب بها وانما قوى ظهرها هذه القوة لكثرة اضلاعها فان لها ثلاثين ضلعاً واذا شدت على بطنها فتدافع اجزاءها وتسمى بذلك الدفع الشديد » . وهذه الجملة صحيحة جداً وعلمية الا من حيث عدد الاضلاع فان عدد الاضلاع والفقرات تختلف حسب الانواع وقد تصل الى ٢٠٠ زوجاً من الاضلاع في الحيات الطويلة . ثم ينقل الدميري قول الجاحظ « الحيات ثلاثة انواع نوع منها ما لا ينفع لسعته الترياق ولا غيره كالثعبان والافعى والحية الهندية ونوع منها ينفع في لسعته الترياق وما كان سواها مما يقتل فانما يقتل بواسطة الفزع » وهذا تقسيم صحيح وعلمي للحيات على اساس سميتها . ثم يذكر الدميري قصة خلاصتها ان

عبد المسيح بن عمرو عند ما جاء يفاوض خالد بن الوليد يوم فتح الحيرة كانت معه قارورة فيها سم حية وبعد للمفاوضات افضى بهذا السر الى خالد فما كان من خالد الا ان اخذ السم وشربه فظهرت عليه بعض علامات التسمم ولكنه نجى من السم . ان التفسير العلمي لذلك هو لا شك ان خالد اخذ سم الحية عن طريق الفم وقد يكون قد تلف بعضه في المعدة وان الجسم لم يمتص من السم الا جزءاً يسيراً لذلك لم يقتله السم . وان من المعروف ان سم الحيات دائماً يدخل الجسم عن طريق الدم مباشرة بواسطة عضه الحية لذلك يكون تأثيره اقوى واسرع . ويقول الدميري « ان سم ساعة لا يكون الا من الحية الهندية ولا ينفع فيها درياق ولا غيره » . وان من المعروف ان سم الكوبرا الهندية من اخطر السموم . ويذكر الدميري قصة اخرى في هذا المضمار وهو ان خادمة الصحابي ابي الدرداء اعطته السم اربعين يوماً فما ضره وقد يكون تفسير ذلك ان الخادمة كانت تعطيه القليل من السم كل يوم والكمية هذه غير كافية للضرر المباشر وبنفس الوقت تساعد الجسم على تكوين اجسام مضادة للسم . ويذكر الدميري الصل ويبالغ فيه قائلاً « وهي شديدة الفساد تحرق كل ما عرت عليه ولا ينبت حول حجرها شيء من الزرع اصلاً واذا غاذى مسكنها طائر سقط ولا يمر حيوان بقربها الا هلك . وتقتل بصغيرها على غلوة سهم ومن وقع عليه بصرها ولو من بعد مات وما نهشته مات في الحال وضرب بها فارس برمح فمات هو وفرسه وهي كثيرة ببلاد الترك » كل هذه المبالغات في وصف خطر الحية غير وارد باى دراسة علمية وخرافي ولا ادري كيف يصدقها الدميري صاحب العقلية العلمية . ويقول الدميري « وتوصف بالنهم والشره لانها تبتلع الفراخ من غير مضغ كما يفعل الاسد » وهذا صحيح لانها نهمه ولكن جميع الزواحف تقريباً لا تمضغ غذاءها بل تزدرده ازراداً وكذلك تفعل الحيوانات الثديية الضارية مثل الاسد . ويقول « يسأل الراقي المدوغ الى اين انتهى الوجع في العضو ثم يضع على اعلاه حديدة ويقرأ العزيمة ويكررها وهو مجرد موضع الألم بالحديدة حتى تنتهي في جرد السم الى اسفل الوجع فاذا اجتمع في اسفله جعل يمس ذلك

الموضع حتى يذهب جميع الألم ولا اعتبار بفتور العضو بعد ذلك « فاننا لو تركنا الجزء الذي يخص العزيمية و قراءة الادعية فان البقية من هذا الوصف هي لطريقة سليمة لتخليص الملسوغ من السم بعد حصر السم وشق المحل ومص السم (Zim & Smith) . ويقول الدميري « يحرم اكل الحيات لضررها » وهذا طبعاً غير صحيح ولم يرد في الشريعة ما يحرم اكل الحية ولحمها غير ضار والكثير من الناس يأكلها .

العظايا Lizards

الوزغ (Gekko) : لا شك ان الدميري عند ما يتكلم عن الوزغ فانه يعطينا معلومات كثيرة تنطبق على عائلة الوزغيات (Gekkonidae) فهو يقول « وهي وسام ابرص جنس » فشكل هذه الحيوانات تعود لعائلة واحدة . ويقول « ان الوزغ من الحشرات المؤذيات » وهو بهذا مخطئ لان الوزغ ليس من الحشرات كما انه ليس مؤذياً فالوزغ من الفقريات والحشرات من اللاذعيات وهي تأكل الحشرات والعناكب فتكون بذلك مفيدة في الحقيقة . ويقول الدميري « انها تسقى من الحيات وتمسح في الاناء فينال الانسان للمكروه العظيم لسبب ذلك » كل هذا كلام غير صحيح وغير علمي بل خرافة . ويقول الدميري « ان الوزغ اصم » وهذا غير صحيح لان الوزغ اذنأً ولكنه بشكل شق طولي غير واضح (Khalaf) . ويقول « وهو يلقح بفيه » وهذا غير صحيح وغير علمي للزواحف والوزغ منها نوع خاص من اعضاء الذكور لتجميع . ويقول « ويبيض كما تبيض الحيات » وهذه جملة صحيحة حيث ان الوزغيات تضع البيوض . ثم يقول « ويقم في حجره زمن الشتاء اربعة اشهر لا يطعم شيئاً » وهذا قول صحيح وعلمي لان الوزغ من ذوات الدم المتغير الحرارة ولا تتمكن من مقاومة برد الشتاء فتسبت .

السقنقور ويسميه الدميري بمجل آخر الاسقنقور وهي نفس الحيوان عند مجسم الحيوان وفي الانكليزية يسمى ال Skink . وحيوانات هذه العائلة قد تكون مختزلة الاطراف او مفقودتها احياناً . حراشف الجلد تكون ناعمة ومقوسة او دائرية الحواف

لسانها مغطى بحلمات متقرنة تشبه الحراشف واللسان معقوف . وبعض أنواعها تلد ولادة .
ويعرفها معجم الحيوان بقوله هي نوع من العطاء أكبر من السحلية واضخم قصيرة الذنب
والقاموس المصري يقول ان كلمة الـ Skink معناها التماسح البري . ويتكلم الدميري عن
هذا الحيوان كلاماً علمياً ولكنه كعادته يتورط بكلام خرافة يأخذه من غيره . فيقول
« السقنقور نوعان هندي ومصري » فان وجود أنواع مختلفة في العائلة امر علمي وليس
بالغريب . ثم يقول « وهو يتغذى بالسمك في الماء وبالقطا في البر يستتره كالحيات » من
المعروف ان هذه الحيوانات تعيش في الغالب على الحشرات والعناكب والديدان ويحتمل
بعض صغار القوارض ولا تختلف عن بقية الزواحف باصطياد وازدراء ضحاياها . ويقول
« انها تبيض ٢٠ بيضة تدفنها في الرمل فيكون ذلك حضنها لها » وهذا صحيح وعلمي
وبعض كتب الحيوان الحديثة مثل (Storer & Usinger) يذكر ان بعض انواعها
تلد ولادة وبعض الكتب الاخرى مثل (Zim & Smith) يذكر ان بعض انواعها
تبقى اناثها قريبة من البيوض لكي تحميها وتحضنها . والدميري يعمل مقارنة بين الورليات
Varanidae وبين السقنقوريات وهذه المقارنة جميلة وعلمية وتساعد كثيراً على التمييز بينها
فهو يقول « والفرق بين الورل والسقنقور من وجوه ان الورل بري لا يأوى الا البراري
والسقنقور لا يأوى الا بالقرب من الماء او فيه » وهذه ملاحظة جميلة عن بيئة الحيوانين .
ويستمر الدميري قائل « ومنها ان جلد السقنقور لين وانعم من جلد الورل » وهذا صحيح
ثم يقول « ومنها ان ظهر الورل اصفر واغبر وظهر السقنقور مدبج بصفرة وسواد » فكل
هذه الصفات جيدة وعلمية . وقد ذكر الدميري حيواناً آخر هو الاسقنقور (بالهمزة)
وقد خصص هنا انه بري وسماه التماسح البري . ولكن قلنا آنفاً ان معجم الحيوان يعتبر
الاثنين حيواناً واحداً والدميري يقول عن الاسقنقور « انها دابة بمصر شكلها بالوزغة على
عظم خلقته » وهذا القول صحيح لان الوزغة من العظايا . ويقول الدميري « ويذبحونه
بسكين ذهب ويحشونه من ملح مصر فاذا وضعوا مثقالاً من ذلك الملح على بيض او لحم

واكل منه نفع نفعاً بليغاً في تهيج الباه « وقد اخبرني الدكتور عز الدين سعيد - من قسم الحيوان في جامعة عين شمس - عند ما قرأت له هذه الجملة يوم كنت وایاه منتدیین للتدريس بجامعة الرياض سنة ١٩٦٥ - ١٩٦٦ انه لا يزال الناس يستعملونه في المدينة المنورة وان الحيوان الواحد المجفف يباع بثلاث ريالات سعودية ويشتريه الجاويون ويضعون القليل منه على غذائهم لزيادة الباه .

الحرذونيات : Agamidac : يطلق معجم الحيوان ثلاثة اسماء على هذه الحيوانات وكلها وردت في كتاب حياة الحيوان الكبرى وهذه الاسماء هي عظرفوط وام حسبين وحرذون . اما وصفها فان معجم الحيوان يقول عنها انها جنس من العظايا اعظم من السحلية واضخم يعرف بمصر وسيناء بقاضي الجبل وفي جزيرة العرب (بالحبينة) وهو انواع كثيرة منها نوع بالشام يعرف بالحرذون اما كتب علم الحيوان فانها تصف العائلة بانها ضب العالم القديم . اطرافها عادية واسنانها مختلفة لسانها قصير وسميكة . ومنها التنين الطائر الذي تكون اضلاعه الطويلة مغطاة بغشاء يمكنها ان تحط وتهبط بشكل طائر من عل (Storer & Usinger) .

ويذكر معجم الحيوان انه جاء في تاج العروس « ... وهي على خلقة الحرباء عريضة الصدر عظيمة البطن ... » والنموذج الذي رأيت في متحف التاريخ الطبيعي يوافق هذا الوصف مما جعلني استعمل اسم العائلة هذا الذي اخذته من معجم الحيوان والتاريخ الطبيعي أما الدميري فانه يقول « انها دويبة شبيهة بالضب وقيل هي ذكر الضب » فهذا كلام غير كاف لمعرفة الحيوان . ويقول « وهو من ذوات السموم » وهذا غير صحيح لان ليس من العظايا ما هو سام الا نوعين من العائلة (Helodermatidae) اعتماداً على (Storer & Usinger) ثم يقول الدميري « له كف ككف الانسان مقسومة الى الانامل » وهذا صحيح لان الاطراف عادية في هذه الحيوانات . ثم يقول « والحق انه غير الورل » وهو صحيح بذلك . وفي محل آخر يتكلم الدميري عن ام حين فيقول « دويبة مثل ابن عرس

وسام ابرص وابن قفرة » ومن حيث الشكل قد يمكن ان يتصورها المرء انها تشبه ابن عرس . ويقول « صحيت ام حبين من الحبن اي الاستسقاء فشبهت بذلك لكبر بظنهما » وهنا يعود فيشبهها في بعض انواع الضب ذات البطون الكبيرة . ثم يقول « وهي على خلقة الحرباء غير الصدر ... وهي دابة على قدر السكف ... تشبه الضب غالباً » وكل هذا وصف صحيح وعلمي . ثم ينقل الدميري عن ابن السكيت قوله « هي اعرض من العطاء وفي رأسها عرض » وينقل ايضاً عن أبي زيد قوله « انها غيراء لها اربع قوائم » وهذا كله صحيح . ويستمر بنقله عن أبي زيد فيقول « فتقف منتصبية على رجليها وتنشر جناحيها وهما اغبران على مثل لونها فاذا زادوا - اي الصبيان - في طردها نشرت اجنحتها من تحت ذينك الجناحين » وقد ذكرنا في مستهل حديثنا عن الحرذون من ان نوعاً منها يسعى التين الطائر وتكون اضلاعه طويلة مغطاة بغشاء يمكن الحيوان بالهبوط من محلات عالية وكأنه يطير . فلا شك ان الجناحين الاولين والجناحين الثانيين الذين يصفهما ابو زيد هي طيات هذا الغشاء بحيث تظهر وكأنها الاجنحة . وقول أبي زيد الذي نقله الدميري صحيح . وبعض انواع الزواحف المندثرة كانت لها اجنحة .

الحرباء : Chameleon يعرفها معجم الحيوان بانها دوية من العظايا بطيئة الحركة تتلون الواناً . وينقل الدميري عن القزويني ما يلي « الحرباء خلقاً بطيء الهضة » وهذا صحيح ثم يقول « عيذه تدور الى كل جهة من الجهات » وهذا صحيح . ويقول « انه يتشكل بلون الشجرة التي يكون عليها حتى يكاد يختلط لونه بلونها » وهذا صحيح ومعروف عن الحرباء حتى لقد اصبح بديهاً ومضرب الامثال . ثم يقول « لسانه بخلاف المعتاد يلحق ما بعد عنه بثلاثة اشبار » وهذا صحيح اذ يقول (Storer & Usinger) ان لسان الحرباء يمكن ان يخرج لعدة انجات امام الرأس . ويقول الدميري « وهي تستقبل الشمس وتدور معها كيفما دارت وتتلون بجر الشمس » وهذا صحيح لان دورانها حول ومع الشمس يتأني من حاجتها للحرارة وان تغير اللون في الزواحف والبرمائيات يتأثر بالضوء والحرارة .

ويقول « وهذا الحيوان لا يرسل يده من غصن حتى يمساك غيره » وهذا صحيح لان كف الحرباء بخمسة اصابع ولكن اثنين منها يقابلان ثلاثة كذلك فالحيوان يستعملها جيداً للمساك . ويقول الدميري « قالوا ان الحرباء من ذوات السموم » وهو هنا مخطيء . ويصف الدميري غذاء الحرباء بأنه الذباب وما اشبه من الحشرات الصغيرة التي تصطادها بلسانها وتزودها وهذا صحيح وعلمي .

الورليات : Varanidae يعرفها معجم الحيوان بأنها من الزواحف الطويلة الانف والذنب دقيقة الخصر ولا عقد بذنبها كذلك التي في ذنب الضب . والورل اطول من الضب واقصر من التمساح ويكون في البر والماء . وقد جاء في كتاب الافساح بالاضافة الى ذلك بأن برائنه كبرائن الاربع . وفي الورل ريش من الوان سواد وبياض ونقط في جنبه وظهره لا يأكله احد . بعض عضاً سديداً . اما الدميري فانه يقول « دابة تن خلقه الضب الا انه اعظم منه » وهذا صحيح ولكنه غير كافي لوصف المسلمي . ثم يستمر الدميري قائلاً « طويل الذنب سريع السير خفيف الحركة » وهذا صحيح . ثم يقول « الورل والضب والحرباء وشجمة الارض والوزغ كلها متناسبة في الخلق » وهذا كله صحيح لانها كلها من العظايا الا شجمة الارض التي يقول عنها معجم الحيوان انها دودة الارض . ويتكلم الدميري كثيراً عن العدا بين الورل والضب وهذا القول والكلام يذكرنا بما نراه احياناً على شاشة التلفزيون من افلام ترينا الصراع بين الحيات والضب او الضب والورل الا ان قول الدميري يتعدى الى الخيالات والخرافة . وينقل الدميري قول احد العلماء من ان الورل فرخ التمساح وهو الذي يأتي من بعض التمساح الذي ينفق ويبقى على البر . ولكن الدميري بطريقته العلمية وفطنته يفتد هذا القول . فيقول « هذا الذي قاله لا اعتقد صحته وذلك لان الورل ليس على صفات التمساح لان جلده يخالف جلده في النعومه ايضاً فانه لو كان من التمساح لاخذ في الكبر حتى يصير في حجمه والورل في المتسدر لا يزيد على ذراع ونصف او ذراعين والتمساح يبلغ عشرة اذرع واكثر » فهذا كله وصف صحيح وقول

علمي ومقارنة ومحاجة عظيمة وان كان بعض انواع الورل تصل الى حد ٨ أقدام (Khalaf) ويقول « الورل من الحشرات » وهذا طبعاً ليس صحيحاً . ويقول « برائن الورل اقوى من برائن الضب » وهذا صحيح حسب ما جاء ببعض الكتب الحديثة (Khalaf) . ويقول « يأكل الورل بطرف اللسان » وهذا صحيح اذا اعتبرنا ان الورل يصطاد الحيوانات الصغيرة مثل الحشرات ويتلقها بلسانه . ويقول « وربما قتل فوجد في جوفه الحية العظيمة » وهذه فكرة مطبقة الآن يستعملها العلماء لمعرفة نوع الغذاء الذي يأخذه حيوان ما .

الضب : Lacertidae الضب حسب علم الحيوان الحديث يمثل عائلة من العضايا يشبه الى حد كبير الورل غير ان ذنبه طويل قد يصل بطول الراس والجذع مرتين . والحراشف على الذب تكون مستطيلة بارزة وجو تجوية ومنتظمة بشكل خطوط عرضية على الذب مما يعطي مظهرها العقد . ورأس الضب صغير بالنسبة للحيوان الارجل الامامية والخلفية تنتهي بخمسة اصابع بمخالب . تقع العينان على جانبي الرأس ولكل منها جفن أعلى وجفن أسفل والغشاء الدمعي الذي يغطي العين . وتقع حفرتا طبلي الاذنين خلف العينين . وفي قاعدة الذب توجد فتحة مستعرضة هي فتحة المخرج (Parker & Haswell) . معظم الحيوان يسمى هذه الحيوانات السحالي ولا يتكلم عنها كثيراً . وفي كتاب الاقصاص لا يوجد تعريف أو وصف جيد للضب . يقول الدميري « الضب حيوان يشبه الورل » وهذا صحيح . يعتقد الدميري ونقل عن غيره من ان « الضب لا يشرب الماء » وهذا ظاهرياً صحيح الى حد ما اذا عرفنا ان الضب يعيش في الصحراء ولكن من دون شك انه يحصل على الماء بين الفترة والفترة أو من غذائه كما ان حراشف جلده تساعد كثيراً على حفظ الماء في جسمه من التبخر وهذه الطريقة الاقتصادية في استعمال الماء معروفة في كثير من الحيوانات والنباتات الصحراوية . ويقول الدميري عن الضب « ويعيش سبعائة سنة » وهذا قول مبالغ فيه ولكننا نعرف ان الزواحف تعيش لمدة طويلة وهي اكثر الحيوانات

عمراً قد تصل بعض السلاحف الى عمر ٢٥٠ سنة . ويقول الدميري « انه يبول كل اربعين يوماً قطرة » وهذا ليس صحيحاً ولكننا نعرف ان إحدى طرق حفظ جسم الماء في الحيوانات الصحراوية هي اعادة امتصاص ماء البول بحيث يلفظ البول وهو بشكل شبه سائل او صلب . فللضب مثانة ولكن الفضلات البولية في الضب تكون نصف سائلة (Parker & Haswell, and Storer & Usinger) والحالبان يلفظان البول النصف سائل هذا الى المجمع حيث يخرج مع الغائط . ويقول الدميري « لا تسقط له سن » وهذا صحيح لان اسنان الزواحف من النوع المتشابه ولا تسقط . ويقول « ان اسنانه قطعة واحدة ليست مفرقة » ان اسنان الضب ليست قطعة واحدة ولكنها اسنان صغيرة مخروطية متشابهة تظهر وكأنها قطعة واحدة وهناك أيضاً اسنان متشابهة مرصوفة في سقف الفم (اللهات) تظهر وكأنها قطعة واحدة وتسمى الاسنان اللهاتية Palarine Teeth . ويقول الدميري « وللضب ذكران » وهذا صحيح وفيما يلي ترجمة حرفية لوصف ذكر الضب وهو النوع المعروف علمياً بـ *Lacerta Viridis* كما جاء في كتاب (Parker & Haswell) وهناك زوج من الاكياس الوعائية لتزاوج Vascular Capulatory sacs لها القابلية على اخراج باطنها الى ظاهرها وحينما يخرج الباطن الى الظاهر تظهر الاكياس وكأنها اسطوانية مع نهاية منتفخة ومشقوقة) . أما كتاب (Storer & Usinger) فانه يقول « الذكر له زوجان من اعضاء الذكر تسمى Hemipenes اي نصف قضيب كل واحد يقع على جانب من المجمع ولهذا العضو تقابلية على اخراج باطنه الى الظاهر اثناء عملية الجماع لسكي يدخله في جمع الاثني » ان هذا النوع من اعضاء الذكر معروف بين الميديات والعظايا . أما التماسيح والسلاحف فان لها قضيباً مفرداً يبرز في وسط المجمع . ويقول الدميري « وللاثني فرجان » وهذا غير صحيح إذ ان لللاثني فتحة واحدة للمجمع ويظهر ان الدميري قد أخذ السجع في الكلام . ويقول الدميري نقلاً عن أبي حنيفة « ان ذكر الضب كلان الحية اصل واحد له فرعان » وهذا غير صحيح نظراً لما نقلناه اعلاه من كتب

علم الحيوان الحديثة . ثم يقول الدميري « وإذا أرادت الغنبة ان يخرج بيضها حفرت في الارض حنرة ورمت فيها البيض وطمتها بالتراب وتتماهدها كل يوم حتى يخرج وذلك في اربعين يوماً وهي تبيض سبعين بيضة وأكثر وبيضها يشبه بيض الحمام » في هذا الكلام العلمي بعض الحقائق الصحيحة مثل وضع البيض في الحفرة وتشبيه البيض ببيض الحمام حيث ان له صفاراً وبياضاً وقشرة . اما عدد البيض والحضانة وعدد أيام الحضانة فكلها غير صحيحة . ان العظايا لا تضع اكثر من ٢٠ بيضة ومدة نمو الجنين تختلف بين عدة أسابيع الى عدة أشهر Storer & Usinger ويقول الدميري « والضب يخرج من حجره كليل البصر فيجاوله بالتحديق للشمس » قد يكون ذلك صحيحاً وبسبب عدم توسع البؤبؤ بسرعة . وقد يكون ذلك عند خروجه بعد دورة انسلاخ (Molting) مباشرة . ويقول الدميري « وفي طبعه النسيان وعدم الهداية وبه يضرب المثل بالحيرة » وكل هذه آراء صحيحة نظراً لان الدماغ في الزواحف غير نام أو متقدم تطورياً . ويقول « ومن شأنه في الشتاء ان لا يخرج من حجره » وهذا صحيح والضب شأنه شأن الحيوانات ذوات الدم البارد فانه يسبت في الشتاء نظراً لعدم قابليته على مقاومة الانخفاض في درجات الحرارة . ويقول « وهو طويل العمر ومن هذه الجهات يناسب الحيات والأفاعي » وهذا صحيح لان الزواحف طويلة العمر نسبياً وبين العظايا والحيات قرابة شديدة .

التمساح Crocodilia كما قد أوردنا في المقدمة من ان التماسيح تكون رتبة قائمة بذاتها في صنف الزواحف . وهذه الحيوانات طويلة الجسم كبيرة الرأس قوية الفكوك بأسنان مخروطية كثيرة . أطرافها تنتهي بأصابع مخلبية وبينها صفاقات . ذنبها طويل وثقيل ومضغوط . جلدها سميك مع دروع متقرنة . الاذن صغيرة وتغطيها قطع من الجلد . اللسان لا يمتد الى الخارج (Storer & Usinger) . ويصفه معجم الحيوان بأنه اكبر الزواحف المعروفة حجماً . وفي كتاب الافصاح يقول ان التمساح من دواب البحر يشبه الورل في الخلق لكن يسكون طوله نحو خمسة أذرع . والدميري يعتمد كثيراً على

انقزويني في معلوماته عن التماسح . ويقول الدميري « وهذا الحيوان على صورة ضب »
 وهذا صحيح من حيث العموم لان الاثنين من الزواحف . ثم يقول « وله فم واسع
 وستون ناباً في فكه الأعلى وأربعون في فكه الأسفل » وهذا صحيح إذ أن فم التماسح
 واسع نظراً لتركيب واتصال فكليه بالجمجمة . وان عدد الاسنان المخروطية كبير ولكن
 ليس من السهل اثبات العدد الذي يضعه الدميري . ويقول « وبين كل نابين سن صغير
 مربعة ويدخل بعضها في بعض عند الانطباق » ان جميع اسنان التماسح متشابهة وان كان
 في بعض الأنواع قسم من الاسنان طويل ويبرز خارج الفم . أما الاسنان الصغيرة المربعة
 فغير موجودة ويقول الدميري « وله لسان طويل » وهذا غير صحيح اذا كان القصد به
 من ان لسان التماسح مثل لسان الضب . ان لسان التماسح عريض ولا يخرج عن الفم .
 ويقول « وله اربع أرجل وذنب طويل » وهذا صحيح . ثم يقول « وهذا الحيوان
 لا يكون الا في نيل مصر خاصة » وهذا خطأ لأننا نعرف ان هناك تماسيح في اواسط
 افريقيا وفي الهند واندونيسيا وحتى الامريكيتين فيها تماسيح ولكن الدميري لم يكن
 ليعرف بوجود الامريكيتين . ويقول « وهو شديد البطش في الماء » وهذا (صحيح) . ثم
 يقول « ويعظم حتى يكون طوله عشرة أذرع في عرض ذراعين وأكثر » وهذا صحيح
 وان كان الصيادون الآن لم يتركوا من التماسيح الضخمة الا القليل . ويقول الدميري
 « وتبيض في البر » ان أنثى التماسح تعمل عشاً من الاعشاب المائية المتفسخة وتضع فيها
 البيض (Storer & Usinger) . ويقول « ومن عجائب أمره انه ليس له مخرج » وهذا
 غير صحيح لان هناك فتحة مشقوفة طولياً بين رجلي التماسح وهي فتحة المخرج (المجمع).
 ويقول « إذا امتلأ جوفه بالطعام خرج الى البر وفتح فاد فيجسي طائر فيلقط ذلك من
 فيه » نعم ان هذا يحدث ولكنه ليس طريق الخروج والابراز . ان كل ما يحدث هو ان
 بعض قطع لحم الغذاء تبقى بين اسنان التماسح فتؤذيه لذلك فهو يرتاح جداً لما يأتي هذا
 الطائر ليلتقط قطع اللحم من بين الاسنان وهذه حالة أو ظاهرة مشهورة تسمى التمايش

التعاوني (Mutualistic Symbiosis) حيث يعيش نوعان من الحيوانات مع بعضها والائنان يستفيدان من هذا التعايش . فالطير يحصل على الغذاء والتمساح يتخلص من قطع اللحم التي تبقى بين أسنانه . ويقول الدميري « ومن شأنه أنه يغيب في باطن الماء أربعة أشهر مدة الشتاء كله ولا يظهر » وهذا صحيح لأن التمساح من ذوات الدم المتغير الحرارة ويسبب أثناء الشتاء . ويستمر الدميري بالحديث كآلآي « ان للتمساح ستين سنًا وستين عرقًا وتسفد ستين مرة وتبيض الاثني ستين بيضة ويعيش ستين سنة » كل هذه الأرقام ليست صحيحة علمياً وان كان بعضها يقارب الرقم الصحيح . إذ قد تبيض بعض الأنواع بين ثلاثين وستين بيضة وقد تعيش بعض التماسيح الكبيرة بين ٢٥ و ٤٠ سنة ويقول الدميري نقلاً عن أبي حامد الأندلسي « ليس للتمساح دبر وله فرج ينسل منه » في الحقيقة ان للتمساح فتحة مجمع واحدة بشكل شق طولي بين الأرجل الخلفية وهي الفتحة التي يخرج منها الغائط والبول والبيض او الحيامن .

جليل ابو الحُب

المصادر العربية :

- ١ - - الدميري - كمال الدين . كتاب حياة الحيوان الكبرى . ملتزم الطبع والنشر عبد الحميد احمد حنفي . مصر . بدون تاريخ .
- ٢ - الحاذق - محمد . كتاب المختار من كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري . وزارة الثقافة والارشاد القومي . الجمهورية العربية المتحدة . بدون تاريخ .
- ٣ - المؤلف - أمين . كتاب معجم الحيوان . هدية المقتطف السنوية سنة ١٩٣٧ .
- ٤ - الصميدى - عبد الفتاح وحسين يوسف موسى . كتاب الافصاح في فقه اللغة . الطبعة الأولى . مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة سنة ١٩٢٩ .
- ٥ - الياس - انطوان وادوار الياس . القاموس العصري . المطبعة العصرية . القاهرة . الطبعة العاشرة سنة ١٩٥٤ .

المصادر الانكليزية :

- 1 - Khalaf, T. K., 1956
Reptiles of Iraq with some notes on the Amphibia; Al-Rabita Press, Baghdad.
- 2 - Grove, A. J., & G. E. Newell, 1955
Animal Biology; University Tutorial Press Ltd. London, PP. 278-494.
- 3 - Parker, T. J., & W. A. Haswell, 1949
A textbook of Zoology; Vol. II; Macmillan & co. Ltd., London. PP. 306 - 393.
- 4 - Storer, I. T. & R.L. Usinger 1965
General Zoology; International Student Edition; McGraw - Hill Book Co., PP. 576 - 588.
- 5 - Zim, H. S., & H. M. Smith 1956
Reptiles and Amphibians; A Golden Nature Guide,